

نشأة مدرسة الكوفة السنية وأسباب انتشارها The Emergence and Development of the Sunnī Kūfah Ḥadīth School

علي بخيت صالح حمد مشعان Ali Bakhit Soleh H Mashan
Master candidate, Department of Qur'an and Sunnah Studies, Kulliyah of Islamic
Revealed Knowledge and Human Sciences, International Islamic University
Malaysia, E-mail: abmashan@yahoo.com

خيرنيل حسيني بن جميل Khairil Husaini Bin Jamil
Assistant Professor, Department of Qur'an and Sunnah Studies, Kulliyah of Islamic
Revealed Knowledge and Human Sciences, International Islamic University Malaysia

ملخص

نشأت مدرسة الكوفة السنية إثر بقاء الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود معلماً لمدة طويلة في الكوفة، وكان لطريقته في الاستنباط الأثر العظيم عليها. وقد أثير حول هذه المدرسة وطريقتها في التعامل مع النصوص جدلاً عريضاً. وهذا المقال مقصده دراسة هذه الاتهامات ومناقشتها وبيان أن منهج هذه المدرس لا يختلف عن المدارس الأخرى إلا أن هناك من الظروف البيئية ما أدى إلى الاختلاف في التعامل مع النصوص اختلافاً ليس جذرياً. ويبين هذا المقال أسباب الاختلاف ويبين أشهر رجال هذه المدرسة. الكلمات المفتاحية: مدرسة الكوفة؛ الحديث؛ التاريخ الإسلامي؛ الرواة؛ المذاهب.

Abstract

The Sunnī Kūfan school emerged in pursuant of the teachings of 'Abd Allāh ibn Mas'ūd, the companion of the Prophet who resided there for a long period of time. His methodology has left a huge impact on the practices and views of this school of thought. Many issues have been raised concerning this school and its methodology. This study aims at exploring these issues and examining their contexts. It explains the reasons behind the emergence of those issues. The study will also trace the most prominent figures of this school.

Keywords: Kūfah; hadith; Islamic history; narrators; madhhab.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد؛ لقد أنزل الله سبحانه وتعالى هذا الدين القويم وقيض له رجالاً جهابذة يقوم به حق القيام ويذبون عنه كل من تحريف الغالين وتأويل المبطلين وينقلونه من جيل إلى جيل. ولقد أسس رجال مدارساً للعلم كان لها الفضل في نشأة العلوم في هذه الأمة، ومنها هذه المدرسة التي كانت من أوائل المدارس ومجالس العلم التي كان لها تأثيراً عظيماً في الإسلام، والتي اتضح لنا عند دراستنا لها أنها لم تفرد بدراسة خاصة تحيط بها من جميع جوانبها.

وعندما تعمقنا في تاريخ هذه المدرسة وقفنا على كثير من الإشكاليات التي أوردت حولها وحول المدارس التي تفرعت عنها. فكان لابد من بحث متخصص يهتم بجمع هذه الإشكاليات حسب المستطاع ويبين الأسباب التي أحاطت بهذه الأسباب حتى أثارها وأدت إلى الاختلاف، سواء كانت هذه الإشكاليات حول هذه المدرسة بذاتها أو كانت حول ما تفرع عنها من مدارس فقهية ونحوية. وهذا مع العلم بأن في هذه المدرسة رجالاً كانوا من مؤسسي علم التفسير كذلك، وأن منهم رجالاً كانوا يهتمون بالحديث النبوي الشريف رواية ودراية.

فمن الإشكاليات التي أثرت حول هذه المدرسة أن المذهب الحنفي الذي كان نتاج هذه المدرسة أتهم بالتوسع في الاستنباط الفقهية من حيث القياس، واتهم بالتوسع بالفقه الافتراضي أي فرضهم المسائل قبل أن تقع، وكثرة التفرع من المسألة الواحدة، وإعمال الرأي دون الحديث. واتهموا على إثر ذلك بأهم قليلي البضاعة في الحديث. وأما بالنسبة للنحو، فقد ذكروا بأن مدرسة النحو الكوفية كانت مجرد فرعاً لمدرسة البصرة.

فكان منهجنا أن قمنا ابتداءً بالبحث في أصل تسمية المدينة التي سميت عليها المدرسة قبل الإسلام، ثم نشأتها وما هي الأصول التي تميز بها ورجالها وغير ذلك مما يجعلنا نعرفها من جميع جوانبها وفي شتى المجالات. ولم نسهب في التفاصيل الدقيقة حتى لا يطول البحث، بل اكتفينا بالمعلومات الرئيسية وما يبني عليها. وحاولنا في هذا البحث أن نجمع ما استطعنا من

هذه المادة للتعرف على مدرسة الكوفة والتي سميت كذلك بمدرسة الرأي ومدرسة العراق. ثم حاولنا أن نبين الظروف التي أحاطت بكل فن والتي كان لها دور كبير في تكوين طابع لهذا الفن يختلف عما كان عليه هذا الفن في المدارس الأخرى. وحاولنا أن نعالج الإشكاليات كل واحدة على حدة، إما بنقل ما يثبت نقيض ما اتهمت المدرسة به، أو بذكر الأسباب التي أجبرتهم على اتخاذ هذا المسلك. فجمعنا كل ما قيل عن هذه المدرسة وحاولنا أن يكون أكثر المعلومات من الكتب الأقدم فالأقدم. فإذا كان الاختلاف في مسألة اختلافاً يتضح منه أن كل واحد من المختلفين قد نظر إليه من زوايا مختلفة فقد لا نرجح. وأما إن كان الاختلاف اختلاف تناقض، فكان لا بد لنا من الترجيح، مع العلم بأننا لم نجد دراسات مختصة في هذا المبحث أو في جزء منه، ومع العلم بأن المعلومات التي أوردناها في هذا المبحث هي نتاج ما وقفنا عليه مبعثراً عند المؤرخين والمفسرين.

1. اسم الكوفة قديماً وسببه

إن مما وقفنا عليه وأثار اهتمامنا هو أن هذه المدينة لم تكن باسم الكوفة قديماً، بل كانت لها عدة أسماء بحسب الحضارات واللغات التي عايشتها هذه المدينة. فقد كان اسمها خدر العذراء. وكذلك سميت بالحدباء، والموصل، وفيروزآباد، ونطاة (Al-Labābīdī)، وكذلك قيل بأنها قد سميت بسورستان (Yāqūt Al-Ḥamawī, 1995, 4/490). وأما بالنسبة لتسميتها بالكوفة، فقد قيل بأنها تلك التي كَوَّفها سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. وقيل لازدحام الناس بها (Ibn Al-Anbārī, 1992/1412, 7). وقيل إنها سميت بذلك لاستدارتها، أخذاً من قول العرب "رأيت كُوفاناً، وكُوفاناً،" -بضم الكاف وفتحها- للرملة المستديرة. ويقال: سميت الكوفة كوفة لاجتماع الناس بها. وذلك من قولهم "قد تكَّوف الرمل يتكَّوف تكَّوفاً" إذا ركب بعضه بعضاً. ويقال: سميت الكوفة كوفة لأنها قطعة من البلاد. وهو من قول العرب "قد أعطيت فلاناً كيفة،" أي قطعة. ويقال "كفت أكيف كيفاً" إذا قطعت (Ibn Al-Anbārī). (Ibn Faris, 1979/1399, 5/147) وقيل الكوفة تعني الرملة

الحمراء (Al-Jūharī, 1407, 4/1424). وقيل سميت بذلك لأن سعداً ارتادها لهم وقال "تكوّفوا في هذا المكان" أي اجتمعوا (Al-Rāzī, 1420/ 1999, 275). وقال أبو القاسم: "قد ذهب جماعة إلى أنها سميت كوفة بموضعها من الأرض، وذلك أن كل رملة يخالطها حصباء تسمى كوفة. وقال آخرون: سميت كوفة لأن جبل سأتيدما (Ibn Al-Mustawfā, 1980, 2/46) يحيط بها كالكفاف عليها. وقال ابن الكلبي: سميت بجبل صغير في وسطها كان يقال له كوفان، وعليه اختطت مهرة موضعها، وكان هذا الجبل مرتفعاً عليها فسميت به، فهذا في اشتقاقها كاف، وقد سمّاها عبدة بن الطبيب كوفة الجند- (Yāqūt Al-Ḥamawī, 1995, 4/490)

والأقرب فيما اتضح لنا أنها سميت بهذا الاسم لأن رمالها حمراء، وكان سبب الترجيح هو لأن أكثر من بيّن سبب التسمية أرجع السبب إلى رمالها، والله اعلم.

2. نشأة الكوفة ومدرستها.

2.1 نشأة مدينة الكوفة

نشأت الكوفة في عهد عمر رضي الله عنه عندما أخذ خالد كربلاء عنوة وسبى أهلها. فقسّمها سعد بين أصحابه. فكتب بذلك سعد إلى عمر فكتب إليه عمر أن حوّلهم، فحوّلهم إلى سوق حكمة، ويقال إلى كويّفة ابن عمر دون الكوفة، فنقضوا فكتب سعد إلى عمر بذلك. فكتب إليه: إن العرب لا يصلحها من البلدان إلا ما أصلح الشاة والبعير، فلا تجعل بيني وبينهم بحراً وعليك بالريف. فأتاه ابن ببيعة فقال له: أدلك على أرض انحدرت عن الفلاة وارتفعت عن المبيّة؟ قال: نعم. فدله على موضع الكوفة اليوم، (Yāqūt Al-Ḥamawī, 1995, 4/490)

2.2 نشأة مدرسة الكوفة:

يرجع المؤرخون نشأة مدرسة الكوفة إلى آثار تعليم الصحابي الجليل ذي الهجرتين، عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الذي سبّره الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الكوفة ليعلم الناس أمور دينهم. ثم أمره الخليفة عثمان رضي الله عنه على الكوفة، وتوفي هناك سنة اثنتين أو ثلاث وثلاثين- (Al-Khaṭīb Al-Baghdādī, 1422/ 2002, 1/482) (Zahrānī, 1996/ 1417, 312).

وذكر الباحثون أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قد سار على طريقة عمر، وتأثر به وبآرائه. وروى عنه أنه قال: "إني لأحسب عمر ذهب بتسعة أعشار العلم- (AI-)". (Tabrānī, 1415/ 1994, 9/162-8808) وجاء في إعلام الموقعين أن ابن مسعود كان لا يكاد يخالف عمر في شيء من مذهبه (Ibn Al-Qayim Al-Jawziyyah, 1991/ 1411, 1/16)، وأنه قال: "لو أن الناس سلكوا وادياً وشعباً، وسلك عمر وادياً وشعباً، لسلكت وادي عمر وشعبه." وقال الشعبي: كان عبد الله لا يقنت، ولو قنت عمر لقنت عبد الله. (Abū J'afar Al-Tabarī, 1/272-653) فقد سار عبد الله بن مسعود رضي الله عنه على منهج سيدنا عمر رضي الله عنه في التفكير والاستنباط والرأي إذا لم يوجد النص ولو أنه خالفه في كثير من المسائل. فربما كان عمر بن الخطاب أكثر الصحابة فهماً لدلالات النصوص وما يستنبط منها واستخراج الحكم على المسائل التي لم يرد فيها نص. فعن الشعبي قال: كانت القضية ترفع إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فربما تأمل في ذلك شهراً، ويستشير أصحابه. (Al-Sarkhasī, 1421/ 2000, 16/162)

ولقد روي عن إبراهيم النخعي أنه كان لا يعدل بقول عمر وابن مسعود إذا اجتمعا، فإذا اختلفا كان قول عبد الله أعجب، لأنه كان ألطف. (Ibn Hanbal, 2001/1422, 2/91-1659) وقد عرف من قبل أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرسل عبد الله بن مسعود إلى أهل الكوفة ليعلمهم، وكانت حركته واسعة، ونجح تلاميذه من بعده نجه، فاعتبرت مدرسة ابن مسعود بالعراق نواة لمدرسة الكوفة، حتى نسب إليها بعض التابعين فقيل "ربيعة الرأي". (Al-Qṭān, 1421/2000, 289)

ومما يجدر بالذكر أن الكوفة نزلها عدد كبير من الصحابة. فقد قيل بأنه نزلها ثلاثمائة من أصحاب بيعة الرضوان، وسبعون بديراً من أشهرهم علي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وعبد الله بن مسعود الذي آثر به عمر بن الخطاب أهل الكوفة على نفسه (Al-Shīkh Nājī, 207).

وبالرغم من دخول كثير من الصحابة الكوفة إلا أن عبد الله بن مسعود كان أكثرهم تأثيراً على أهل الكوفة. وذلك لعدة أسباب منها أنه دخلها معلماً، فكان طلابه قريب الأربعة آلاف طالباً. وكذلك أنه مكث فيها قريباً من خمس عشرة سنة. فذلك كفيلاً بأن يكون له تأثير أكثر من غيره من الصحابة الباقين رضي الله عنهم أجمعين.

3. أصول مدرسة الكوفة

كان لعبد الله بن مسعود تأثيراً واضحاً على أهل الكوفة وكانت قلوبهم أميل شيء إلى أصحابه. ومما يوضح ذلك ما قاله علقمة لمسروق: "هل أحد منهم أثبت من عبد الله؟" وكذلك قول أبي حنيفة: "إبراهيم أفقه من سالم، ولولا فضل الصحبة لقلت علقمة أفقه من ابن عمر، وعبد الله هو عبد الله."

ومما يوضح الأصول التي كان يسير عليها أهل هذه المدرسة هو ما ذكره ابن حجر حيث قال:

وقد جمعوا من فتاوى ابن مسعود وقضايا علي وفتاواه وكل ما تيسر لهم جمعه، وصنعوا في آثار أصحابهم كما صنع أهل المدينة، وخرجوا كما خرج هؤلاء ولم يكن عندهم من الأحاديث والآثار ما يقدرون به على استنباط الفقه على الأصول التي اختارها أهل الحديث، ولم تنشرح صدورهم للنظر في أقوال علماء البلدان وجمعها، وكان عندهم من الفطانة والحس وسرعة انتقال الدّهن من شيء إلى شيء مما يقدرون به على تخريج جواب المسائل على أقوال أصحابهم (Ibn Hajar, 1415, 1/58)

ولقد كان من أسباب قلة اعتمادهم على الأحاديث والآثار هو قلة الأحاديث عندهم. ويرجع المؤرخون ذلك إلى ما روي أن عمر رضي الله عنه حينما بعث رهطاً من الأنصار إلى الكوفة نهاهم عن كثرة التحديث، وقال لهم: "إنكم تأتون قوماً لهم أزيز بالقرآن، فيأتونكم فيقولون: قدم أصحاب محمد، فيأتونكم فيسألونكم عن الحديث، فأقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم." وكذلك من الأسباب أنهم لم يأخذوا الأحاديث إلا مع شديد الحرص والتثبت مما أدى إلى قلة الأحاديث عندهم. ولقد كان سبب هذا الحرص الشديد والتثبت هو شيوع الوضع في العراق من جانب المبتدعين وغيرهم، وتهميهم من رواية الحديث، فبالتالي كانت ذخيرة الأحاديث عندهم قليلة. ونظراً لكون هذه المدرسة كانت تقوم في جوٍّ أوسع من جوِّ التقليد المدني، فالحياة في العراق مزدهمة بالعمران والحضارات متشعبة من رومانيتها وفارسية، والمسائل متشابكة كان لا بد من استعمال الرأي كثيراً وكثيراً جداً. وكانوا لا يكرهون المسائل ولا يهابون الفتيا، فخرجوا المسائل على أقوال أصحابهم وافترضوا وأجابوا وساروا في هذا الاتجاه شوطاً طويلاً.

4. أسباب انتشار منهج الرأي في العراق

لم نجد دراسة خاصة عن هذه الأسباب التي أدت إلى انتشار مدرسة الرأي في العراق إلا أن المؤرخين وبعض أهل العلم الذي عرف عنهم الاستقراء مثل ابن حجر أرجع انتشارها إلى أسباب ومنها:

- 1- تأثر أهل العراق بالصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، الذي كان ينحى منحى عمر بن الخطاب، وأستاذ الكوفة - كما عرفنا - واطلاعهم على قضايا علي بن أبي طالب واجتهاداته مدة خلافته بينهم.
- 2- كان الحديث في العراق قليلاً إذا قيس إلى ما لدى أهل الحجاز موطن الرسول صلى الله عليه وسلم وكبار الصحابة؛ فإن عدد الصحابة الذين وفدوا على العراق كان قليلاً بالنسبة إلى الصحابة الذي ظلوا في الحجاز.

- 3- والعراق متاخماً للفرس، واتصل بالحضارة الفارسية اتصالاً وثيقاً؛ وذلك من شأنه أن يحدث كثيراً من المسائل الجزئية، والمشاكل المتعددة التي تحتاج إلى إعمال الرأي وكثرة القياس. روي عن إبراهيم النخعي أنه قال: "إني لأسمع الحديث الواحد فأقيس عليه مئة شيء". (Al-Qurtbī, 1424/2003, 2/139)
- 4- وكان العراق موطن الشيعة والخوارج، وعلى أرضه دارت التنازعات، ثم شاع الوضع في الحديث تأييداً للمذاهب السياسية، وهذا جعل علماءه في مدرسته يقلون من رواية الحديث، ويتحفظون فيها، تحرزا من الوقوع في الأحاديث الموضوعية؛ فكانت الأحاديث التي يعول عليها لديهم قليلة، وهذا يدعوهم عند النظر في المسائل إلى القول بالرأي حيث لا نص.

5. مميزات مدرسة أهل الرأي وأهم رجالها

5.1 مميزات مدرسة أهل الرأي

كانت لهذه المدرسة بعض السمات التي اتسمت بها وكان لها دور في خدمة الإسلام فيما بعد خاصة في افتراض المسائل التي لم تكن لها حاجة في عهدهم، ولكن كتبت لهذه المسائل أن تكون لها حاجة فيمن كان بعدهم لحدوث هذه الافتراضات التي احتاجت إلى الاجتهاد فيها. ومن هذه المميزات ما يأتي:

- 1- كثرة تفرعهم الفروع لكثرة ما يعرض لهم من الحوادث نظراً لتحضرهم، وقد ساقهم هذا إلى فرض المسائل قبل أن تقع؛ فأكثرها من "أرأيت لو كان كذا؟" فيسألون عن المسألة ويبدون فيها حكماً، ثم يفرعونها بقولهم: "أرأيت لو كان كذا؟" ويقلبونها على سائر وجوهها الممكنة وغير الممكنة أحياناً، حتى سماهم منافسوه الذين عرفوا بأهل الحديث "الأرأيتيين"، وتميز منهمجهم بالفقه الافتراضي.

ومما يدل على ذلك هذه القصة التي فيها أن أسد بن الفرات قدم على مالك بن أنس، وكان أصحاب مالك يهابونه في السؤال؛ فقال أسد: فكنت أسأله عن المسألة؛ فإذا أجاب يقولون: قل له فإن كان كذا؟ فأقول له؛ فضاق علي يوماً، فقال: هذه سليسلة بنت سليسلة، (Al-Zubydī, 29/218) إن أردت هذا فعليك بالعراق. (Al-Shaybānī, 1433/ 2012, 41)

2- قلة روايتهم للحديث، واشترطهم فيه شروطاً لا يسلم معها إلا القليل، وانتهاجهم نهج عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود فيما روي عنهما من التثبوت في الرواية وعدم الإكثار في التحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانوا يتهيبون من الرواية عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يتهيبون من الرأي. (Al-Qṭān, 1422/2001, 289)

5.2 أهم رجال مدرسة الكوفة

لما كان مكوث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في الكوفة مدة طويلة قرابة خمس عشرة سنة، ولما كان شغله الشغل هو التعليم، نتج عن ذلك أن كان له الحظ الأوفر من التلاميذ الذين أفتوا بفتواه وقرؤوا بقراءته، وكانوا سبباً لتأسيس المدرسة.

قال ابن المديني:

"فأصحاب عبد الله بن مسعود الذين يفتون بفتواه، ويذهبون

مذهبه، ويقرؤون بقراءته:

- 1- علقمة بن قيس النخعي (مات بعد سنة ستين للهجرة).
- 2- الأسود بن يزيد النخعي (توفي سنة أربع أو خمس وسبعين).
- 3- مسروق بن الأجدع الهمداني (توفي سنة اثنين أو ثلاث وستين).
- 4- عبيدة - بفتح المهملة - بن عمرو السلماني (المتوفى قبل سنة سبعين).
- 5- الحارث بن قيس الجعفي، قتل بصفين، وقيل: مات بعد علي رضي الله عنه.
- 6- عمرو بن شرحبيل الهمداني (توفي سنة 63 هـ).

ستة عدّهم إبراهيم النخعي.

ثم أصحاب هؤلاء الستة من أصحاب عبد الله، ممن يقول بقولهم

ويفتي بفتواهم:

-1 إبراهيم بن يزيد النخعي (توفي سنة 96 هـ)، وعمره قريب من الخمسين سنة.

لقي من هؤلاء: الأسود وعلقمة ومسروق وعبيدة، ولم يسمع من الحارث

بن قيس ولا من عمرو بن شرحبيل، وروى عن همام بن الحارث عنه ('Ibn

Al-Madinī, 1980, 42)

ومما هو جدير بالذكر أن إبراهيم النخعي شيخ لحماذ بن أبي سلمة، وأن

حماداً شيخ للإمام أبي حنيفة الذي ولد في الكوفة في 80 هـ على المشهور، وانتهت

برئاسته مدرسة الكوفة، وأصبح الناس بعد ذلك عيال في الفقه على أبي حنيفة

كما قال الشافعي. (Al-Shaybānī, 1433/ 2012, 42)

-2 عامر بن شراحيل الشعبي (توفي بعد سنة مئة) سمع منهم كلهم إلا الحارث بن قيس.

وقال في موضع آخر: "كان أعلم أهل الكوفة بأصحاب عبد الله بن مسعود

وطريقتهم ومذهبهم: إبراهيم النخعي وعامر الشعبي، إلا أن الشعبي كان يذهب

مذهب مسروق، يأخذ عن علي وأهل المدينة، وكان إبراهيم يذهب مذهب

أصحابه، أصحاب عبد الله هؤلاء (Ibn Al-Madinī, 1980, 46) "

ثم قال رحمه الله:

"وكان أعلم الناس هؤلاء من أهل الكوفة ممن يفتي بفتواهم ويذهب

مذهبهم:

1- الأعمش - سليمان بن مهران - (ت 148 هـ).

2- أبو إسحاق - عمرو بن عبد الله السبيعي - (ت 129 هـ).

ومن بعد التابعين هؤلاء:

سفيان بن سعيد الثوري (ت 161 هـ)، وكان يذهب مذهبه

ويفتي بفتواهم.

ومن بعد سفيان: يحيى بن سعيد القطان، كان يذهب مذهب

سفيان الثوري وأصحاب عبد الله بن مسعود."

وقال في موضع: "كان أبو إسحاق وسليمان الأعمش أعلم أهل الكوفة بمذهب عبد الله وطريقته، والحكم بن عتيبة (ت 115 هـ) بعد هذين، وكان سفيان بن سعيد أعلم الناس بهذين وبمدينتهم وبطريقهم، وكان يحيى بن سعيد يحب سفيان، ويجب هذا الطريق ولا يقدم عليه أحداً. (Ibn Al-Madinī, 1980, 45)

6. نشأة العلوم المختلفة في هذه المدرسة

نشأ تدوين العلم في صدر الإسلام على هيئة صحف كتب فيها القرآن والحديث، ثم جمعوا القرآن، ثم جمعوا الحديث، ثم بدأت مرحلة التصنيف، ثم أخرج كل علم على حدة على حسب الحاجة التي ظهرت في ذلك العصر.

ولقد جاءت الحاجة إلى تأسيس علم النحو بعد دخول كثير من العجم الإسلام واختلاطهم بالعرب وظهور اللحن على ألسنة العرب. وكان أول من وضع قواعد وضوابط للنحو هم البصريون. وأما الكوفيون، فقد كانوا في شغل عن التقعيد للنحو. فقد كانوا مشغولين عن وضع نقاط الإعراب في الذكر الحكيم ووضع نقط الإعجام والأنظار النحوية والصرفية الأولى لشغلهم بالفقه ووضع أصوله ومقاييسه وفتاواه، وبالقرائات وروايتها رواية دقيقة مما جعلها تحظى بمذهب فقهي هو مذهب أبي حنيفة، وبثلاثة من القراء السبعة الذين شاعت قراءاتهم في العالم العربي، وهم: عاصم وحزمة والكسائي. وعُنت بجانب ذلك عناية واسعة برواية

الأشعار القديمة وصنعة دواوين الشعر، وإن كانت لم تعن بالتحري والتثبت فيما جمعت من أشعار. ولقد كان أبو جعفر الرُّاسِي أول كوفي ألف في النحو، (Al-Fayrūz 'ābādī, 1421/2000, 10) ولكن هذا العلم بدأ في الكوفة بدءاً حقيقياً على يد الكسائي وتلميذه الفراء. (Abd Al-Salām, 153)

وأما بالنسبة لعلم التفسير، فقد عُرف به من أهل العراق كثير من التابعين. اشتهر منهم علقمة بن قيس، ومسروق، والأسود بن يزيد، ومرة الهمداني، وعامر الشعبي، والحسن البصري، وقتادة بن دعامة السدوسي. (Al-Qtān, 'Ibn 'Atiyah, 1422, 18) (1421/2000, 350)

وأما علم السيرة والمغازي، فعرف به: إبراهيم بن محمد بن الحارث الفزاري صاحب كتاب السير في الأخبار، وكان قد قدم بغداد، وسعيد بن يحيى بن سعيد الأموي صاحب كتاب المغازي الذي سكن بغداد وتوفي بها.

وفي علم التاريخ والنسب: اشتهر لقيط الحاربي، وهشام بن محمد ابن السائب الكلبي صاحب (جمهرة أنساب العرب) وله كتب كثيرة في الأخبار. ('Ibn Sa'ad, 1408, 24) ولعل الإمام عامر بن شراحيل الشعبي الكوفي يعتبر من مؤسسي مدرسة العراق في التاريخ، وكذلك منهم سيف بن عمر التميمي وقحذم بن سليمان. (Al-Barzanjī, 1428/2007, 1/13)

7. أشهر أسانيد أهل الكوفة وأشهر مؤلفاتها

وحتى يتضح لنا مدى اهتمام أهل الكوفة بالأحاديث النبوية، كان لابد لنا أن نستعرض الأسانيد التي اشتهر بها بعض محدثيها. وبالطبع، إن من أشهر الأسانيد ما خرج في الصحاح لما للصحاح من القبول والشرف عند الأمة.

ويمكن هنا أن نعرض بعض الأسانيد المخرجة في الصحاح:

1- الأعمش، عن إبراهيم النخعي، عن علقمة، عن ابن مسعود رضي الله عنه. (Al-'Aynī, 11/487)

- وقيل: إن هذا الإسناد هو أصح الأسانيد، قاله ابن معين. (Al-Sakhāwī, 1424/ 2003, 1/24)
- 2 أبو أسامة حماد بن أسامة، عن بُريد بن عبد الله، عن أبي بردة، عن أبي موسى رضي الله عنه. (Al-'Aynī, 3/71)
- 3 منصور بن المعتمر، عن الشعبي، عن البراء بن عازب رضي الله عنه. (Al-'Aynī, 10/274)
- 4 زهير بن معاوية، عن منصور، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة رضي الله عنه . (Al-'Aynī, 17/297)
- ولقد كان لقلم التأليف حضوره الواضح عند علماء الحديث بالكوفة، بل كانت قضية التأليف عندهم مبكرة جداً. فهم من أوائل الذين دونوا الحديث وكتبوا الآثار. ومن المؤلفات التي جادت بها المكتبة الكوفية والمحبرة الحديثية لديهم:
- 1 المسند ليحيى الحِمَّاني. قال ابن عدي: "يقال: إن أول من صنف المسند بالكوفة يحيى الحِمَّاني." (Ibn Rajab Al-Hanbalī, 1/119)
- 2 المسند لعبيد الله بن موسى العبسي الكوفي. (Al-Kitānī, 1406/1986, 6) وذكر الحاكم أنه أول من صنف المسند في الإسلام هو وأبو داود الطيالسي. (Ibn Al-Bay', 30)
- 3 مصنف وكيع بن الجراح. (Al-Kitānī, 1406/1986, 40)
- 4 مصنف أبي بكر بن أبي شيبة. (Al-Kitānī, 1406/1986, 40)
- 5 جامع سفيان الثوري. (Al-Kitānī, 1406/1986, 43)
- وهو أيضاً من أوائل الذين صنفوا في الحديث. (Al-Ramhirmzī, 1404, 612)
- 6 كتاب الصلاة لأبي نعيم الفضل بن دكين الكوفي. (Al-Kitānī, 1406/1986, 45)
- 7 كتاب الزهد لهناد بن السري. (Al-Kitānī, 1406/1986, 51)

وبهذا يكون قد تم هذا البحث، ويكون بذلك قد توصلنا إلى أن مدرسة الكوفة تسيير على الأصول التي عليها مدرسة المدينة والمدارس الأخرى إلا أن البيئة المحيطة اضطرت هذه المدرسة إلى أن يكون لها طابع معين لتأثرها بعبد الله بن مسعود رضي الله عنه وطريقته في الفتوى والاستنباط في المسائل المستحدثة. وكذلك وجودها على حدود الفرس وكونها ملتقى لكثير من الثقافات أدى إلى كثرة المسائل التي لم تكن لها سابقة بعكس المدارس الأخرى التي اكتفت بالتقليد لعدم ورود مسائل جديدة عليهم إلا ما ندر. ولقد اتضح من خلال هذا المبحث أن هذه المدرسة مثل المدارس الأخرى في تقديم الاحتجاج بالحديث في المسائل إلا أن كثرة الوضع في البيئة المحيطة بها أدت إلى شدة الاحتياط في الأخذ بالحديث. والكوفة تأخرت عن البصرة في تأسيس مدرسة النحو الكوفية لانشغالها بعلوم أخرى وأنها كان لها بصمة جديدة في النحو لم تكن للبصريين. ونوصي في نهاية هذا البحث أن يكون هناك اهتمام بكل مدرسة على حدة، والبحث فيها والظروف المحيطة بها مثل المدرسة الشامية ومدرسة المدينة وغيرها. وكذلك أن تكون هناك دراسة خاصة للمقارنة بين المدارس جميعها من حيث الظروف المحيطة بها وكيفية أخذها للعلم. وتضاف هذه الدراسات إلى ما يسمى بعلم تأريخ الدراسات الحديثية حتى يعين الطلبة والباحثين للوقوف على تاريخ السنة النبوية والبحوث فيها بشكل منظم.

References

- Abd Al-Salām, Shawqī Dīf Aḥmad Shawqī 'Abd Al-Salām. *Al-Madāris Al-Nahawiyyah*. Dār Al-M'ārif.
- Abū J'afar Al-Ṭabarī, Muḥammad 'Ibn Jarīr 'Ibn Yazīd 'Ibn kathīr 'Ibn Ghalib Al-'āmilī. *Tahdhīb Al-'āthār Wa Tafṣīl Al-Thābit 'An Rasūl Allah Min Al-Akhbār*. Taḥqīq: Maḥmūd Muḥammad Shakir. Al-Qāhirah: Maṭba'ah Al-Madanī.
- Al-'Aynī, Badr Al-Dīn Abū Muḥammad Maḥmūd 'Ibn Aḥmad Al-Ḥanafī. *'Umdat Al-Qārī Sharḥ Ṣaḥīḥ Al-Bukhārī*. Bayrūt: Dār 'Iḥyā' I Al-Turāth Al-'Arabī.

- Al-Barzanjī, Muḥammad 'Ibn Ṭāhir Al-Barzanjī. 1428/2007. *Ṣaḥīḥ Wa D'aīf Tārīkh Al-Ṭabrānī*. Bayrūt: Dār 'Ibn Kathīr.
- Al-Fayrūz 'ābādī, Majd Al-Dīn Abū Ṭāhir Muḥammad 'Ibn Y'aqūb. 1421/2000. *Al-Balaghah Fī Tarājim A'Imat Al-Nḥaw Wa Al-Lughah*. Dār Sa'ad Al-Dīn.
- Al-Khaṭīb Al-Baghdādī, Abū Bakr Aḥmad 'Ibn Alī 'Ibn Thābit. 1422/ 2002. *Tārīkh Baghdād*. Taḥqīq: Bashār 'Awād M'arūf. Bayrūt: Dār Al-Gharb Al-'Islāmī.
- Al-Kitānī, Muḥammad 'Ibn J'afar. 1406/1986. *Al-Risālah Al-Mustṭrafah Lbyān Mashhūr Kutub Al-Sunnah Al-Muṣanaḥah*. Bayrūt: Dār Al-Bashā'r Al-'Islamiyyah.
- Al-Labābīdī, Aḥmad 'Ibn Muṣṭafā Al-Dmashqī. *Al-Lṭā'f Fī Al-Lughah Mu'ajam Asmā' Al-Ashyā'*. Al-Qāhirah: Dār Al-Faḍīlah.
- Al-Qṭān, Manā'a 'Ibn Khalīl Al-Qṭān. 1421/2000. *Mabāḥith Fī 'ulūm Al-Qur'ān*. Maktabat Al-M'arif.
- Al-Qṭān, Manā'a 'Ibn Khalīl Al-Qṭān. 1422/2001. *Tārīkh Al-Tashrī'a Al-'Islāmī*. Maktabat Wahbah.
- Al-Qurṭbī, Yūsuf 'Ibn 'Abd Allah 'Ibn Muḥammad 'Ibn 'Abd Al-Bar 'Ibn 'Aāṣim Al-Namrī Al-Qurṭbī. 1424/2003. *Jāmi'a Bayān Al-'Alm Wa Faḍlih*. Taḥqīq: Abū 'Abd Al-Raḥman fawāz Aḥmad Zamrī. Al-Rayān- Dār 'Ibn Ḥazm.
- Al-Ramhirmzī, Abū Muḥammad Al-Ḥasan 'Ibn 'Abd Al-Raḥman Al-Fārisī. 1404. *Al-Muḥadith Al-fāṣil Bayn Al-Rāwī Wa Al-Wā'aī*. Taḥqīq: Muḥammad 'Ajjāj Al-Khṭāb. Bayrūt: Dār Al-Fikr.
- Al-Rāzī, Zīn Al-Dīn Abū 'Abd Allah Muḥammad 'Ibn Abī Bakr 'Ibn 'Abd Al-Qādr. 1420/ 1999. *Mukhtār Al-Ṣḥāḥ*. Taḥqīq: Yūsuf Al-Shīkh Muḥammad. Bayrūt- Ṣaydā: Al-Maktabah Al-'Aṣriyyah- Al-Dār Al-Namūdhjiyyah.
- Al-Sbā'aī, Muṣṭafā 'Ibn Ḥusnī Al-Sbā'aī. 1402/1982. *Al-Sunnah Wa Makānathā Fī Al-Tashrī'a Al-'Islāmī*. Bayrūt: Al-Maktab Al-'Islāmī.

- Al-Sakhāwī, Shams Al-Dīn Abū Al-Khīr Muḥammad 'Ibn 'Abd Al-Raḥman. 1424/ 2003. *Faṭḥ Al-Mughīth Bisharḥ Alfīyat Al-Ḥadīth*. Misr: Maktabat Al-Sunah
- Al-Sarkhasī, Muḥammad 'Ibn Aḥmad 'Ibn Abī Sahl Shams Al-A'mah. 1421/ 2000. *Al-Mabsūṭ*. Taḥqīq: Khalīl Muḥyī Al-Dīn Al-Mīs. Bayrūt: Dār Al-Fikr.
- Al-Shaybānī, Muḥammad 'Ibn Al-Ḥasan 'Ibn Farqad Al-Shaybānī. 1433/ 2012. *Al-Aṣl*. Taḥqīq: Muḥammad būyanūkālin. Bayrūt: Dār 'Ibn Ḥazm
- Al-Ṭabrānī, Sulymān 'Ibn Aḥmad 'Ibn Ayyūb 'Ibn Mṭīr Al-Lakhmī Al-Shāmī. 1415/ 1994. *Al-Mu'ajam Al-Kabīr*. Taḥqīq: Ḥamdī 'Ibn 'Abd Al-Majīd Al-Salafī. Al-Qāhirah: Maktabat 'Ibn Taymiyah.
- Al-Zahrānī, Muḥammad 'Ibn Maṭar 'Ibn 'uthmān 'āl Maṭar Al-Zahrānī. 1996/ 1417. *'Alm Al-Rijāl Nash' Ith Wa Taṭwrah Min Al-Qarn Al-'wal 'Ilā Nihāyat Al-Qarn Al-Tās'a*. Al-Riyāḍ: Dār Al-Hijrah Llnashr Wa Al-Tawzī'a.
- Al-Zubydī, Murtaḍā Muḥammad 'Ibn Muḥammad 'Ibn 'Abd Al-Razzāq Al-Ḥsīnī Abū Al-Fayḍ. *Tāj Al-'Arūs Min Jawāhir Al-Qāmūs*. Dār Al-Hidāyah
- 'Ibn Al-Anbārī, Abū Bakr Muḥammad 'Ibn Al-Qāsim. 1987/1407. *Al-Aḍḍād*. Taḥqīq: Muḥammad Abū Al-faḍl 'Ibrahīm. Bayrūt: Al-Maktabah Al-'Aṣriyyah.
- 'Ibn Al-Anbārī, Abū Bakr Muḥammad 'Ibn Al-Qāsim. 1992/1412. *Al-Zāhir Fī Ma'ānī Kalimāt Al-nās*. Taḥqīq: Ḥātim Ṣāliḥ Al-Dāmin. Bayrūt: Mu'sasat Al-Risālah.
- 'Ibn Al-Bay', Abū 'Abd Allah Al-Ḥākim Muhammad Al-Naysābūrī. *Al-Madkhal 'Ilā Kitāb Al-'Iklīl*. Taḥqīq: Fu'ād 'Abd Al-Min'am Aḥmad. Al-'Iskandariyyah: Dār al-da'wah.
- 'Ibn Al-Madinī, Alī 'Ibn 'Abd Allah. 1980. *Al-'Alal*. Taḥqīq: Muḥammad Muṣṭafā Al-A'zamī. Bayrūt: Al-Maktab Al-'Islāmī

- 'Ibn Al-Mustawfā, Al-Mubārak 'Ibn Aḥmad 'Ibn Al-Mubārak 'Ibn Mawhūb Al-Lakhmī Al-'Irbī. 1980. *Tarīkh 'Irbī*. Taḥqīq: Samī 'Ibn Sayid Khamās Al-Ṣaqār. Al-'Arāq: Dār Al-Rashīd Llnashr.
- 'Ibn Al-Qayim Al-Jawziyyah, Muḥammad 'Ibn Abī Bakr 'Ibn Ayyūb 'Ibn Sa'ad Shams Al-Dīn. 1991/ 1411. *I'alām Al-Muwaq'aīn 'An Rab Al-'Alāmīn*. Taḥqīq: Muḥammad 'Abd Al-Salām 'Ibrāhīm. Bayrūt: Dār Al-Kutub Al-'Almiyyah
- 'Ibn 'Atiyah, Abū Muḥammad 'Abd Al-Ḥaq 'Ibn Ghalib Al-Andalusī. 1422. *Al-Muḥarir Al-wajīz Fī Tafsīr Al-Kitāb Al-'Azīz*. Taḥqīq: 'Abd Al-salām 'Abd Al-shāfi Muḥammad. Bayrūt: Dār Al-Kutub Al-'Almiyyah
- 'Ibn Faris, Aḥmad 'Ibn Zakariyā Al-qazwīnī Al-rāzī Abū Al-Ḥsīn. 1979/1399. *Mu'jam Maqāyīs Al-lughah*. Taḥqīq: 'Abd Al-Salām Muḥammad Hārūn. Dār Al-fikr.
- 'Ibn Ḥajar, Abū Al-faḍl Aḥmad 'Ibn 'Alī Al-'Asqalānī. 1415. *Al-'Iṣābah Fī Tamīz Al-Ṣaḥābah*. Taḥqīq: 'Ādil Aḥmad 'Abd Al-Mawjūd Wa 'Alī Muḥammad Mu'awaḍ. Bayrūt: Dār Al-Kutub Al-'Almiyyah.
- 'Ibn Ḥanbal, Aḥmad 'Ibn Muḥammad 'Ibn Ḥanbal 'Ibn Hilāl 'Ibn Asad Al-Shaybānī. 2001/1422. *Al-'Alal Wa Ma'arifāt Al-Rijāl*. Taḥqīq: Waṣy Allah 'Ibn Muḥammad 'Abbās. Al-Riyāḍ: Dār Al-Khānī.
- 'Ibn Rajab Al-Ḥanbalī, Zīn Al-Dīn Abī Al-Faraj 'Abd Al-Raḥman 'Ibn Aḥmad Al-Baghdādī. *Sharḥ 'Alal Al-Tirmidhī*. Taḥqīq: Nūr Al-Dīn 'Atr.
- 'Ibn Sa'ad, Abū 'Abd Allah Muḥammad. 1408. *Al-Ṭabaqāt Al-Kubrā*. Taḥqīq: Ziyād Muḥammad Maṣṣūr. Al-Madinah Al-Munawarah: Maktabat Al-'ulūm Wa Al-ḥikam
- Nājī, Aḥmad Muḥaram Al-Shīkh Nājī. *Al-Ḍaw' Al-Lāmi'a Al-Mubīn 'An Manāḥj Al-Muḥadthīn*.
- Yāqūt Al-Ḥamawī, Yāqūt Shihāb Al-Dīn Abū 'Abd Allah 'Ibn 'Abd Allah Al-Rūmī. 1995. *Mu'ajam Al-Buldān*. Bayrūt: Dār Ṣādir

